على الغلاف

«دار الصيّاد» صرح يتهاوى... الصحافة اللبنانية أمام المجهول

الصحافة اللبنانية تستحق ولادة جديدة؟

بيار أبي صعب

صرْحُ إعلامي جديد يتهاوى في بيروت. ما يزيد من قتامة المشهد، ومرارة الأسئلة المتعلّقة بالمستقبل. نفكّر هنا في «مستقبل» البلد الذي طالما عُرف بصحافته الحرّة وتماهى معها. بقدر ما نفكّر في «مستقبل» الصحافة نفسها التي طالما كان لبنان معقلاً من معاقلها، وبؤرة من بؤر نهضتها. الصحافة اللبنانية التي تترنّح اليوم، لن تنهار وحدها ـ بذريعة أن «التطوّر» التقني جرفها، كما يخيّل لبعض المحاضرين في الزمن الافتراضي ممن لا يرون إلا قشرته الخارجيّة ـ بل ستأخذ معها النهضة الفكريّة والثقافية والفنية، والازدهار والتعددية والحياة الديموقراطيّة. صحيح أن للديموقراطية اللبنانية علاتها التي نعرف جيّداً، لكنّ هذه «الديموقراطيّة» وقفت وراء صعود الصحافة، وعصرها الذهبي، وتقف اليوم وراء انهيارها. إن هذا المصير التراجيدي الذي نواجهه، هو نتيجة حتميّة لانهيار المؤسسات، وتراجع الحياة السياسيّة إلى حلبة صراع جاهليّة ضيّقة، وانقراض المشاريع الفكرية والسياسية الكبرى، وفقدان البوصلة، وانفضاض القرّاء. ونشير أيضاً إلى استقالة معظم أهل المهنة إذ توقّفوا عن الابتكار والاجتهاد والتطور وطرح الأسئلة والنقد وتجديد الأشكال والمضامين. حتى «شطارة» أيام زمان التي قامت عليها النهضة الصحافيّة اللبنانيّة، بشكل أساسي، تجرّدت من أناقتها ورونقها، وفقدت ذرائعها الوطنيّة والقوميّة، ودوافعها الفكريّة، ولم يعد يشفع لها الشغف المهني وإقبال الجماهير، فبدت أكثر فأكثر ارتزاقاً سافراً... بل أكثر من ذلك، باتت في السنوات الأخيرة، على مستوى الأفراد والمؤسسات، تسوّلاً بائساً يثير الشفقة والغضب. ربّ قائل إننا نبالغ في رثاء مؤسسة محتضرة من زمن ليس بالقريب («الأخبار»، 2 آذار/ مارس 2013). ربّ سائل باستغراب: أما زالت تصدر جريدة «الأنوار» أصلاً؟ وماذا عن المجلات والدوريّات التي لم تعد تحتل مكانها في قلب المشهد؟ صحيح أننا لا نشعر بهيبة الموت فعلاً، إلا لحظة اقتحامه حياتنا، ولا يتكرّس الحداد إلا بالإعلان الرسمي عن الغياب. الآن، حين بلَغَنا أن المؤسسة العريقة التي أسّسها سعيد فريحة قبل 75 عاماً، ستوقف إصداراتها، وتغلق أبوابها، انتبهنا إلى حجم الخسارة، وهول الفراغ الذي ستتركه. نسينا مرحلة الانهيار البطيء، ووقائع الموت المعلن في السنوات الأخيرة. إننا نرثي هنا عصراً وزمناً ومدينة ومهنة وصناعة. أسماء وأقلام وأعلام ومقالات وزوايا وقواميس الحياة اليوميّة وإبداعات وتجارب وأغلفة ومانشيتات، شكّلت فصولاً أساسيّة في السجل الذهبي للصحافة اللبنانيّة. «دار الصيّاد» التي صارت اسم مستديرة شهيرة في الحازميّة، جزء من ذاكرتنا الوطنيّة، ومن الذاكرة الفنيّة والسياسية العربية. حكاية مغامرة فريدة أطلقها رجل عصامي كان مولعاً بالفن والفنانين. كم من الحقبات واكبتها هذه المطبوعات، كم من الأسماء والأساطير صنعتها؟ فوق صفحات «الصياد» أطلق سعيد فريحة ونجيب حنكش حزب «الفيروزيين»، كان ذلك في العام 1953 والمغامرة الرحبانية تعرف بدايات صعودها. وفي العصر الذهبي احتضنت صفحات «الأنوار» أقلاماً عربيّة بارزة، وسجالات وقضايا ما زالت راهنة إلى اليوم. وما زال فنّانون كثر، ينعمون في هذه الدنيا أو في الآخرة، بالألقاب التي أطلقها عليهم جورج إبراهيم الخوري رئيس تحرير «الشبكة»...

صرْحُ إعلامي جديد يتهاوى في بيروت. رغم كل شيء يصعب أن نقبل بانطفاء الأضواء في مكاتب «دار الصياد»، وتوقّف مطابعها عن الدوران. يصعب أن نتخيّل النهاية. أن نعترف بانتهاء حقبة، تركت بصماتها على أجيال متعاقبة. بعد فترة قصيرة لن يعود أحد يذكر «المستديرة» الشهيرة التي أزيلت أصلاً، ولا ذاك التاريخ الصاخب الرابض خلف جدران المبنى العتيد الذي احتلّه منذ سنوات أحد المصارف، فيما انتقلت مؤسسة آل فريحة إلى مبنى أصغر في الجوار. لكن هل نحن نمشي في جنازتنا حقّاً؟ هل هو الموت المحتوم لمهنة الصحافة، بعد انتحار «السفير»، والولادة المجهضة لـ «الاتحاد»، والخواء الذي ينخر «النهار»، وإغلاق صحف عدّة عربية ولبنانية، أو انسحابها إلى العالم الإلكتروني بحجّة القفز (المزعوم) إلى المستقبل؟ أم أنها نهاية نمط معيّن من صناعة الصحافة وإنتاجها؟ ما زال بيننا من يؤمن بضرورة الجريدة الورقية ومكانتها ودورها، شرط أن تعيد النظر جذريّاً بشكلها ومضمونها وعلاقتها التكامليّة بالعالم الافتراضي، وتعيد النظر بأدواتها وطريقة صناعتها وأدوات إنتاجها. شرط أن تستعيد ثقة القرّاء وتعيد خلق جمهورها الذي يتقلّص كل عام، لأنّ الناس لم تعد تجد نفسها في ما يُنشر، وليس فقط لأنّها هاجرت إلى الإنترنت. الصحافة كانت وستبقى منبراً في قلب الحاضرة، مشروعاً يقدّم المحتوى، ويقوم على مبادئ وخيارات وأساليب، ويحمل التنوير ويحرّض على التفكير والتذوق، ويحتضن الجدل... لبنان في حاجة إلى إعلامه التعددي، الذي ينشر المسكوت عنه ويدعو إلى الوعي والاكتشاف والتفاعل، بدلاً من ممارسة التضليل والتزوير والمديح والعلاقات العامة، واجترار القوالب والكلمات والشعارات التي تعود إلى الماضي التليد.

وهذه الولادة الجديدة التي ندعو إليها ونؤمن بها، تتطلّب جيلاً جديداً من الناشرين لا يرهن نفسه لهذا النظام أو ذاك، لهذا الزعيم أو ذاك. الأنظمة الغارقة في أزماتها وحروبها، مكتفية بإعلامها، تشتري بضعة صحافيين بدلاً من تمويل مؤسسات. لقد شحّت مصادر التمويل السياسي أو ضمرت، وأثبتت أنّها عقيمة، تثري الناشرين فقط، ولا تولّد نهضة وصناعة مستدامة. أثبتت أنّها تنتج طفرة ولا تصنع نهضة أو تنمية مستدامة. ولا شك في أن الدولة تضطلع بدور أساسي في إنقاذ هذا القطاع الهش، وضمان استقلاليته. كما يحتاج أهل المهنة إلى إطار نقابي جديد لا يشبه النظام السياسي، يحمي حريتهم وحقوقهم، وينظّم علاقات العمل، ويعطي الشرعية، ويحمي القواعد المهنيّة والأصول والمواثيق الأخلاقية. هذه الولادة تتطلّب جيلاً جديداً من الصحافيين الذين يملكون سرديّة مختلفة، ويعبرون عن أنفسهم بمفردات (لغوية وبصرية) أخرى، وينظرون إلى الواقع بحساسيات مغايرة، ويستندون إلى تقنيات متعددة. ويصنعون صحافة تنقد الحكام، ولا تلعب دور مهرّج البلاط وموظف العلاقات العامة والترويج. صحافة رأي واستقصاء ومعارف فكرية وعلمية، ومتعة وفرح وحلم، وثقافات بديلة وتقنيات عصريّة. عندها سنرى كيف يعود القرّاء. إن انبعاث الصحافة اللبنانية مسؤوليّة مشتركة... لئلا نصطف اليوم من جهتي الموكب الجنائزي ونعزّي زملاءنا وزميلاتنا في «دار الصياد» قائلين: أنتم السابقون...

الإقفال تدريجي... والبداية مع «الأنوار»

زكية الديراني

مبنى «دار الصيّاد» في الحازمية

سعيد فريحة وحسن الجاك ولفيف من الناس يستقبلون أم كلثوم في مطار بيروت

يتناقل الموظفون في «دار الصيّاد» (قرابة 80 موظفاً موزّعين بين تقنيين وصحافيين)، خبراً بأنّ الدار التي تأسست عام 1954 ستقفل أبوابها خلال أيام. الخبر انتشر بين العاملين بشكل سريع، من دون أن يؤكّده آل فريحة (إلهام وعصام وبسام فريحة)، القائمون على الدار التي أسسها والدهم الكاتب الراحل سعيد فريحة. حتى إن إدارة «الصيّاد» التي تضمّ صحيفة «الأنوار» ومجموعة مجلات هي: «الصياد» و«الشبكة» و«فيروز» و«الفارس» و«الدفاع العربي»، لم توزّع رسالة إلكترونية للموظفين تنفي فيها الخبر أو تؤكّده. هذه الدوّامة التي يعيشها الصحافيون في «الصيّاد» حالياً، تشبه الحالة التي سبق أن عاشها مصروفو الوسائل الإعلامية التي أغلقت أبوابها في الآونة الأخيرة، آخرها مكتب «دار الحياة» السعودية في بيروت (تضم مجلة «لها» وجريدة «الحياة»). مناخ من التوتر يسيطر على كواليس الدار التي تتخذ من منطقة الحازمية مركزاً لها، ولا جواب يشفي غليل الموظفين الذين لا يزالون يمارسون عملهم بشكل شبه طبيعي. حتى إن بعضهم لا يصدّق خبر الإقفال ويصنّفه ضمن «الشائعة»، لأن الإعلانات لا تزال تتابع طريقها إلى المطبوعات، حتى إن بعض الملصقات الإعلانية طبعت وأصبحت جاهزة للتوزيع. كما يتمّ العمل على توزيع خطط الأعداد المقبلة. لكنّ أمراً ما طرأ قبل ساعات أدّى إلى قلب المعادلة، وهي عدم إرسال عدد مجلة «الشبكة» الشهيرة إلى الطباعة للصدور في الأسواق، مع العلم بأن موادها التحريرية جاهزة وتنتظر فقط صفّارة الطباعة. هذه الخطوة أدّت إلى طرح تساؤلات عدّة، أبرزها: هل بدأ العدّ العكسي لإغلاق «دار الصيّاد»، وخصوصاً أنه يحكى أن عدد صحيفة «الأنوار» غداً السبت سيكون الأخير في رحلتها التي تأسست عام 1959؟ مع العلم بأنه بعد الجريدة اليومية، سيأتي الدور على مجلات الدار أيضاً. يصف بعض العاملين الخبر «بأنه مؤسف وحزين لأن للدار مكانة تاريخية مهمّة في الذكرة الإعلامية اللبنانية وخرّجت أجيالاً من الصحافيين، وهي أشبه بـ«إمبراطورية»». لكن حالة تكتّم تسيطر على كواليس دار «الصيّاد»، وخاصة أن الصحافيين لم يتبلغوا شيئاً، لكنْ هناك كلام عن زيارات متكررة لآل فريحة لوزارة العمل لتصفية الحسابات. في اتصال لـ«الأخبار» مع رئيس تحرير «الأنوار» رفيق خوري، يلفت إلى أن «القائمين على الدار هم وحدهم المخوّلون الكلام عن إغلاق الصحيفة». ويضيف: «لا أستطيع قول شيء، لأنني لم أتبلّغ من الإدارة شيئاً». من جانبه، يكتفي مدير تحرير «الأنوار» فؤاد دعبول بالقول: «الشغل ماشي بالجريدة!». في هذا الإطار، يشير مصدر لـ«الأخبار» إلى أن الدار لم تحدّد بعد موعداً محدداً وثابتاً لإغلاق العدد الورقي، لكنها ستتخذ هذه الخطوة في القريب العاجل. ويوضح أن الإقفال سيكون تدريجياً خلال الأيام المقبلة، على أن تكون النهاية وقف جميع الأعداد الورقية. في المقابل، يلفت المصدر إلى أن القائمين على «الصياد» سيتجهون نحو العمل الإلكتروني للتعويض عن الغياب الورقي. وهنا، يرفض القول بأنّ الخلافات العائلية بين آل فريحة وراء هذا القرار، عازياً الإقفال إلى تراجع سوق الإعلانات في العالم العربي، ما أجبر القائمين على الدار على اتخاذ هذه الخطوة، على أن ينال الموظفون كامل حقوقهم فور الإغلاق، وسيجري الاتفاق مع الإدارة على دفع مستحقاتهم في الأيام المقبلة. على الضفة نفسها، يلفت أحد العاملين في الدار، رافضاً الكشف عن اسمه، إلى أن العمل في الدار «شبه طبيعي»، ولا تزال مكاتب الدار في لندن والإمارات ومصر تتابع عملها بشكل عادي بالتواصل مع مكتب بيروت. حتى إن هناك كلاماً عن أن بعض الجهات السياسية تدرس إمكانية استمرار «الأنوار» ورقياً، وتزويدها بالدعم المادي، لكن الخبر سيتأكّد لاحقاً. من جانبه، يشير أنطوان خوري مدير مكتب إلهام فريحة لـ«الأخبار» إلى أن قرار الإغلاق يعود لأسباب عدة، منها: الظروف الاقتصادية الصعبة التي يمرّ بها لبنان والعالم العربي. كما أن الدولة اللبنانية لا تدعم هذا القطاع، وسط شحّ لا مثيل له في الإعلانات. لذلك قررت «الصياد» إقفال العدد الورقي نهائياً والتركيز على الموقع الإلكتروني. ويختم خوري قوله بأن «دار «الصياد» كبرت، ولا يوجد عنصر شبابي يكمل الرسالة».

> تراجع سوق الإعلانات في العالم العربي، والظروف الاقتصادية الصعبة وغياب الدعم الرسمي

طلال سلمان: تجربة انتهت مع سعيد فريحة

في لقاء مع الكاتب والصحافي طلال سلمان، يسرد تجربته في «دار الصيّاد» وعلاقته مع سعيد فريحة. يعود مؤسس جريدة «السفير» (أقفلت أبوابها عام 2016) بالذاكرة إلى الوراء، ويقلّب صفحات عمله في مجلة «الصيّاد» التي تأسست في بدايات الأربعينيات من القرن الماضي. يقول: «في عام 1963 دخلت إلى «الصيّاد»، وكنت يومها عائداً من الكويت حيث أسست مجلة هناك. عملت في المجلة نحو 10 سنوات غير متواصلة، بسبب تنقّلي بين وسائل الإعلام. لكن لا أحد ينسى سعيد فريحة. كان رجلاً عروبياً ذا علاقات وطيدة مع مختلف الدول العربية». يتابع سلمان كلامه عن فريحة، قائلاً «تعرّف الراحل إلى الرئيس الراحل رياض الصلح، وأعجب به، واعتبره نموذجاً وطنياً. أصدر فريحة مجلة «الصيّاد» في الأربعينيات وإعتبرها بمثابة مجلة الاستقلال. لاحقاً، أصدر مجلة «الشبكة» لأنه كان يهوى الفنّ. لقد كان هوسه الأساسي هو الفنّ، وفي مكتبه، كان النجوم العرب يحضرون بشكل دائم، وأبرزهم الراحلتان: صباح وأم كلثوم. لقد حقّق فريحة إنجازاً تاريخياً بتأسيسه داراً عريقة. هذا الإنجاز كان مرتبطاً إلى حدّ كبير بقدراته وعلاقاته مع الطقم السياسي». لكن ما رأيه بإقفال «دار الصيّاد» اليوم؟ يجيب: «برأيي إن «دار الصيّاد» ماتت عند وفاة سعيد. هناك بعض المؤسسات التي تقوم على المؤسّس نفسه وتموت مع رحيله».

«حلاق السيدات» الذي بنى امبراطورية إعلامية بمئة ألف ليرة

زينب حاوي

من حلب، المدينة السورية، التي تعاد الحياة إليها اليوم، بدأ الصحافي الراحل ومؤسس «دار الصياد» سعيد أمين فريحة (1912-1978) مسيرته المهنية عام 1928، ليدخل بعد سنوات نادي الرعيل الصحافي الاول في لبنان، ويصبح أحد روّاد صحافة الاستقلال. وقتها، لجأ مع عائلته إلى عاصمة الشمال السوري، هرباً من الحرب العالمية الأولى والمجاعة التي سببتها. عمل بداية في صالون حلاقة للسيدات عندما كان يبلغ 23 عاماً. نبوغه المبكر وحسّه الأدبي والشعري، خوّلاه أن تحتل مقالاته الصفحات الأولى من المجلات والصحف التي كان يكتب فيها، ومن ضمنها جريدة «الراصد». ومن غرفة صغيرة في منطقة «زقاق الأربعين» الحلبية، بدأ فريحة ممارسة هوايته الأحب الى قلبه: الكتابة. سرعان ما انخرط في المجتمع الحلبي، وراح يراسل صحفاً ومجلات في دمشق وبيروت، الى حين عودته الى لبنان، وتأسيسه مجلة «الصياد» (1943)، تزامناً مع بزوغ فجر الاستقلال. بدأ التأسيس للمجلة، التي تحولت بعدها الى أعرق الدور في الشرق الأوسط، من غرفة صغيرة في مبنى «الصمدي» في وسط بيروت، كانت جزءاً من مكاتب جريدة «الحديث». صدر العدد الأول من المجلة، في 24 صفحة، وقد خصّص رئيسا الجمهورية اللبنانية بشارة الخوري والسورية شكري القوتلي رسالتين نشرتا في ذلك العدد، الى جانب افتتاحية دوّنها فريحة بعنوان «هذه المجلة»، عرّفت وقتها القراء إلى المجلة وخطتها وتطلعاتها العربية والقومية والوطنية. هكذا تعرّف هؤلاء على سعيد فريحة الصحافي والكاتب الساخر، وأيضاً صاحب الفلسفة الخاصة في الصحافة باعتبارها «وسيلة تعبير فكري ونضال سياسي وسلطة ديمقراطية أساسية»، الى جانب كونها «التزاماً وطنياً»، وهذا ما شدد عليه طيلة حياته. في محافل عدة، أكّد أن «الالتزام ضروري في الصحافة، (..)، على أن تكون الأخيرة ممارسة فكرية مستمرة تنشد الأفضل»، معتبراً «الالتزام أحد المقومات الأساسية التي لا بقاء لها ولا استمرار للصحافة في دونها».

من زاوية «جعبة»، العمود الخاص بفريحة (مقال سياسي أدبي يحمل نقداً اجتماعياً وبعضاً من الدعابة وأدب الرحلات) في مجلة «الصياد»، بدأت الرحلة، ومسار الانتشار في العالم العربي: سوريا، مصر، السودان، والمغرب العربي، واستطاع من خلالها أن يبدأ ببناء «دار الصياد» عام 1954، من عائدات هذه الزاوية. قال مرة: «عملنا كتاباً سمّيته «الجعبة»، وأرسلت مئة جعبة الى مئة صديق، وجمعنا مئة ألف ليرة لبنانية، وعمّرنا «دار الصياد» بمئة ألف ليرة». بهذه العبارة اختصر الرجل بناء أكبر الصروح الصحافية لبنانياً، وحتى عربياً. صرح ضمّ «الشبكة» (1956) التي شكلت ذاكرة فنية عربية، وجريدة «الانوار» (1959)، وكرت سُبحة المجلات المتخصصة لاحقاً. وقتها، شيّد مبناه في منطقة الحازمية، وتعرّض مرات عديدة لإصابات مباشرة، خاصة إبان الحرب الأهلية اللبنانية، نظراً إلى موقعه الجغرافي المطل على بيروت، وعلى خطوط النيران المشتعلة في العاصمة. كذلك، إبان الاجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، تعرض المبنى لقصف عشوائي، وألحقت به أضرار جسيمة، الى أن دُمّرت أجزاء كبيرة منه بعد عامين، بسبب القصف الإسرائيلي المباشر عليه، وأحاله مكاناً غير صالح للعمل الصحافي. فكان الرد واضحاً وحاسماً، في زيادة عدد الإصدارات، والمجلات المتخصصة، خصوصاً أنّ فريحة آمن بالصحافة المتخصصة ودورها المستقبلي. عنصر أسهم لاحقاً في ازدهار الدار، ونموّها، في وقت كانت فيه نسبة كبيرة من الصحافة اللبنانية (70%) تهاجر الى لندن أو باريس أو قبرص، وتقفل. كذلك زاد عدد المطبوعات في الثمانينيات، بعيد وفاة فريحة، وبعد تسلّم أولاده الثلاثة: إلهام، عصام، وبسام لمفاصل الدار، تنفيذاً لما كان يحلم به الأب المؤسّس دوماً بتوسيع «دار الصياد»، وزيادة عدد إصداراته من «فيروز» (1980) المجلة الشهرية التي تعنى بقضايا المرأة وشؤونها، مروراً بمجلة «الكمبيوتر والإلكترونيات» (1984)، المتخصصة في مجال التكنولوجيا والمعلومات، وصولاً الى مجلة «الفارس» التي تتوجه الى الرجل وتهتم بأناقته وأسلوب حياته... لا يمكن التوقف عند مسيرة فريحة و«دار الصياد» من دون استعادة المناخ الفكري والثقافي والفني الذي أرسته وأسهمت في صنعه، إذ خرج من عباءتها أعلام في الصحافة الفنية والسياسية. أحد صنّاع مجلة «الشبكة» والشهود على زمنها الذهبي، يقول لـ«الاخبار» إنّه في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات، كانت «الشبكة» تبيع ستين ألف عدد في الأسبوع، وكان انتشارها على امتداد رقعة العالم العربي. من أسماء تلك المرحلة نذكر سليم نصار، وجورج إبراهيم الخوري، والشاعر الراحل جورج جرداق، وجان شاهين، وعبد الغني طليس... يقول المصدر الذي فضّل عدم ذكر اسمه: «كانت الشبكة «مملكة» واسمها كبيراً وذا سطوة مرعبة على الفنانين والداخلين الجدد إلى المهنة. كان الفنان حين يعلم أنّ مقالاً سيصدر عنه في المجلة، لا ينام الليل من الترقّب. وكان المستوى الأدبي فيها متفوّقاً حتى على المستوى الصحافي. مثلاً، جورج إبراهيم الخوري (1922 ـ 2006). رئيس تحرير المجلة لسنوات طوال) كان كاتب رواية، وهو الذي اخترع تقليد إلقاء الألقاب على الفنانين، وكانت علاقاته قوية بالفنانين، من عبد الوهاب وأم كلثوم إلى فناني لبنان. سياسياً أيضاً، كانت علاقة سعيد فريحة بعبد الناصر قوية جداً، لذا كان المصريون يعتبرون صحيفة «الأنوار» بيتهم».

اليوم، تقفل «دار الصياد» أبوابها، وتطوي 75 عاماً من عمر الصحافة اللبنانية والعربية، التي اتخذت من هذه المهنة مساراً ملتزماً بالقضايا الوطنية والعربية والقومية. في أزمة الحروب والصراعات الداخلية، آثرت الدار العريقة الصمود، ودفعت الثمن باهظاً. اليوم، وفي أزمة الصحافة في لبنان، تغلق آخر أبوابها، فاتحة عهداً أسود من هذه المهنة، التي بدأت تكرّ سبحة روادها في انتظار المشهد الأخير.

> في السبعينيات، كانت «الشبكة» تبيع ستين ألف عدد في الأسبوع